" الاتساق في قصيدة أرى شبحي قادما من بعيد" لمحمود درويش

د. فوازبن زايد الشمري
جامعة حائل
المملكة العربية السعودية

المقدمة

تقوم هذه الدراسة على تطبيق أدوات نظريات تحليل الخطاب على قصيدة "أرى شبحي قادما من بعيد" لمحمود درويش، محاولة رصد نصّية الملفوظ، وهو أمر انشغلت به نظرية الاتساق، فجاءت الدراسة تحت عنوان " ثنائية الاتساق في قصيدة أرى شبحي قادما من بعيد" لمحمود درويش.

سار منهج الدراسة في جانبين: الأول، الجانب النظري؛ ففيه رصدت تعريف الاتساق والتعريف بأدواته . والثاني، الجانب التطبيقي؛ وفيه وُظِّفت أدوات نظرية الاتساق على قصيدة محمود درويش.

وجاءت الدراسة في تمهيد، ومبحث، وخاتمة، أما المبحث : كان للجانب التطبيقي لأدوات نظرية الاتساق من (الإحالة، والاستبدال، والحذف، والوصل، والاتّساق المعجمي)، والخاتمة عرضت فيها لأبرز النتائج التي توصلت لها.

التمهيد:

لاشك أن اتساق النص يحتل مكانةً في الأبحاث اللسانية، والدراسات الأدبية التي تندرج في مجالات تحليل الخطاب، ولسانيات النص / الخطاب، ونحو النص، وعلم النص؛ فإننا لا نجد مؤلفاً ينتمي إلى هذه المجالات خالياً من هذين المفهومين.

مفهوم الاتساق:

الاتساق مصطلح مترجم من الكلمة (Cohesion)، وقد وقع في ترجمته بعض من الاختلافات في عملية انتقال المصطلحات العلمية، حيث ترجمه محمد خطابي إلى الاتساق[1]، في حين ترجمه تمام حسّان إلى السّبك[2]، وترجمته إلهام أبو غزالة وعلي خليل حمد إلى التضام[3]، أما عمر عطاري فترجمه إلى الترابط[4]؛ ولذلك نرى في كتاب أحمد عفيفي أنه ترجم للكلمة بثلاثة مصطلحات معطوفة بـ (أو) التي تفيد التنويع: السّبك أو التضام أو الترابط[5].

ويقصد بالاتساق "ذلك التماسك الشديد بين الأجزاء المُشَكِلة لنص/خطاب ما، ويهتم فيه بالوسائل اللغوية التي تصل بين العناصر المكونة لجزء من الخطاب أو الخطاب برمته"[6]. ويرى هاليداي ورقية الحسن أنه عندما ندرس الاتساق فإننا نبحث عن الوسائل اللغوية التي يستطيع النص بواسطتها أن يعمل كوحدة معنوية[7].

نال مصطلح الاتساق اهتماماً من علماء النص بتوضيح مفهومه وأدواته، ويعرفه كارتر* بقوله: يبدو لنا الاتساق ناتجاً عن العلاقات الموجودة بين الأشكال النصية، أما المعطيات غير اللسانية (مقامية، وتداولية) فلا تدخل إطلاقاً في تحديده[8].

ومن أجل وصف اتساق النص/ الخطاب يسلك المحلل – الواصف طريقة خطية، متدرجاً من بداية الخطاب حتى نهايته، راصداً الضمائر والإشارات المحيلة، مهتماً أيضاً بوسائل الربط المتنوعة كالعطف والاستبدال والحذف والمقارنة، كل ذلك من أجل البرهنة على أنه النص/الخطاب يشكل كلاً متآخذاً[9]. فالمقصود بتحليل اتساق النص هو الإحاطة به من حيث هو تسلسل ونسيج، تسعى الظواهر اللغوية المتنوعة فيه إلى تنامي النص وتناسله وتضمن له استمراره بواسطة التكرارات[10].

ثمَّ أدوات وآليات مسؤولة عن اتساق النص، وتكشف عن مواطن الخلل فيه، وبخلو هذه الأدوات والآليات يُحْكم على النص بأنه غير متسق، والتي أطلق عليها بوجراند مسمى وسائل السبك*، وهذه الأدوات هي:

1. الإحالات: وتتمثل في عودة بعض عناصر الملفوظ إلى عناصر لفظيّة أخرى، نقدرها داخل النص أو في المقام (خارجه)، انطلاقاً من تصوّر ما جاء به هاليداي ورقية الحسن حول هذا المصطلح، فهما يران أن العناصر المحيلة كيفما كان نوعها لا تكتفي بذاتها من حيث التأويل، إذ لابدّ من العودة إلى ما تشير إليه من أجل تأويلها. وتتوفر كل لغة طبيعية على عناصر تملك خاصية الإحالة، وهي: الضمائر، وأسماء الإشارة، وأدوات المقارنة[11]. ويعرفها بروان ويول بأنها "العلاقة القائمة بين الأسماء والمسميات، فالأسماء تحيل إلى المسميات"[12]. وحسب هاليداي ورقية الحسن تنقسم الإحالة إلى نوعين رئيسين هما: الإحالة المقامية، والإحالة النصّية، وتتفرع الثانية إلى إحالة قبلية وإحالة بعدية[13].

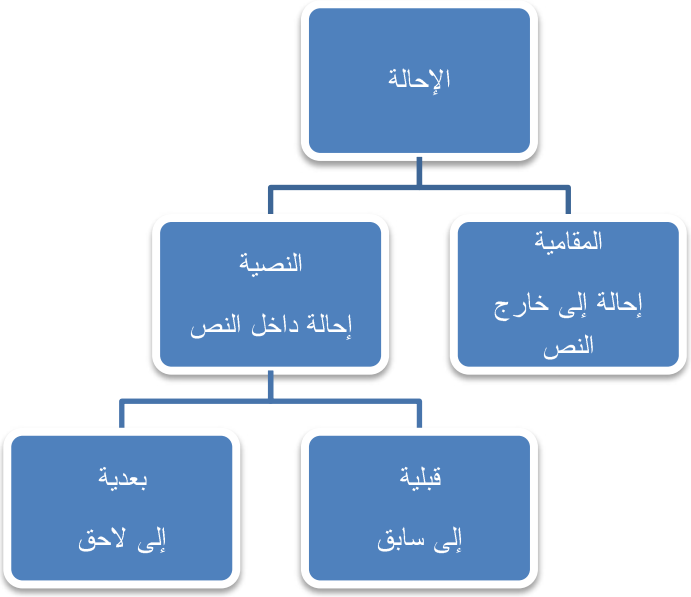

رسم توضيحي 1[14]

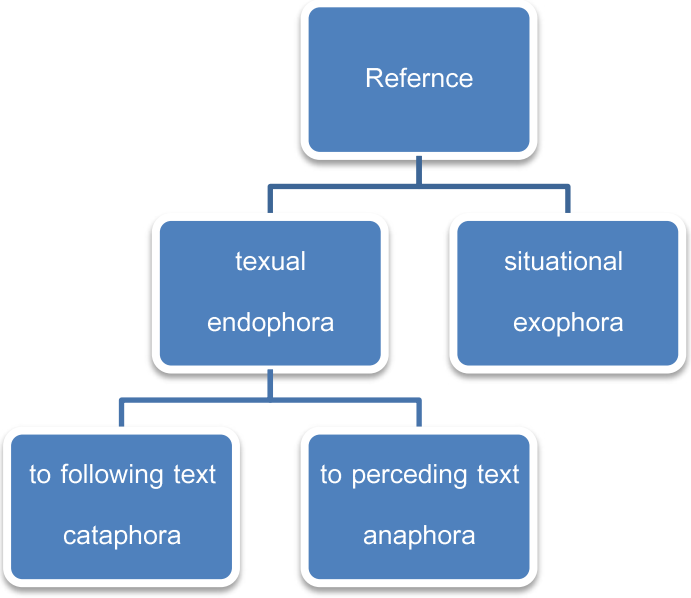

رسم توضيحي 2[15]

2. الاستبدال: عملية تتم داخل النص، إنه تعويض عنصر في النص بعنصر آخر. ويُعَدُّ الاستبدال علاقة اتساق، إلا أنه يختلف عن الإحالة في كونه علاقة تتم في المستوى النحوي- المعجمي بين كلمات أو عبارات، بينما الإحالة علاقة معنوية تقع في المستوى الدلالي.[16] غالبية حالات الاستبدال النصي قبلية؛ أي علاقة بين عنصر متأخر وعنصر متقدم. ومن أنوع الاستبدال: الاستبدال الاسمي، والاستبدال الفعلي، والاستبدال القولي.[17]
3. الحذف: هو علاقة تتم داخل النص، فمعظم أمثلته تبين أن العنصر المحذوف موجود في النص السابق، مما يعني أن الحذف يكون علاقة قبلية. وللحذف أنواع هي: الحذف الاسمي، والحذف الفعلي، والحذف داخل شبه الجملة.[18]
4. الوصل: هو تحديد للطريقة التي يترابط بها اللاحق مع السابق بشكل منظم. ومن هنا يُعْتَبر أن النص عبارة عن جمل متتالية متعاقبة خطياً، ولكي تدرك كوحدة متماسكة تحتاج إلى عناصر رابطة متنوعة تصل بين أجزاء النص.[19] للوصل أربعة أنواع هي: الوصل الإضافي، والوصل العكسي، والوصل السببي، والوصل الزمني.[20]

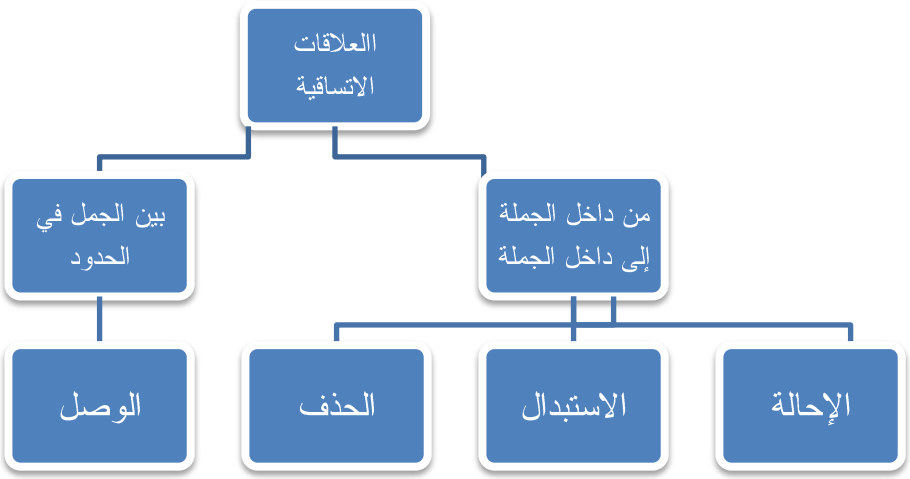

رسم توضيحي 3[21]

5. الاتساق المعجمي: لا نعني بالمعجم حين نذكره في دراساتنا اللغوية ذلك الكتاب المحصور بين دفتين يذكر الكلمات ومعانيها أو أي معجم مكتوب، ولكننا نعني به المعجم مجمل الأدوات اللغوية التي استطاع ابن اللغة (ومنهم الشعراء) أن يختزنَها في ذاكرته اللغوية ويستعملها عند الحاجة إلى استعمالها وتوظيفها وفقاً لقواعد النظام اللغوي العام أو الكفاية أو القدرة[22]. وينقسم الاتساق المعجمي إلى قسمين: التكرير (وهو شكل من أشكال الاتساق المعجمي يتطلب إعادة عنصر معجمي، أو ورود مرادف له أو شبه مرادف أو عنصراً مطلقاً أو اسماً عاماً)[23]. والتضام (يعني توارد زوج من الكلمات بالفعل أو بالقوة نظراً إلى ارتباطهما بحكم علاقة من العلاقات، والعلاقة النسقية التي تحكم هذا التزاوج في خطاب ما، هي علاقة التعارض أو التَّضاد)[24].

تعزز أهمية الاتساق من إمكانية نمو النص مع افتراض عدم وجود الترابط النصي في كل نص معطى، فقد تتغير الأساليب تبعاً للرؤى والمقاصد.

أدوات الاتساق:

قلنا فيما سبق أن الاتساق هو التماسك الشديد بين الأجزاء المشكلة لنصّ ما، وهذا التماسك يتأتّى من خلال وسائل لغويّة تصل بين العناصر المشكلة للنص، وهذه الوسائل اللغوية تخلق النصيّة، بحيث تساهم في وحدة النص الشاملة، وتؤوله لكي يُعدّ نصاً، فإن انعدمت أو ضعفت افتقر الملفوظ إلى النصّية، أو ضعفت نصيته، ومن ثمّ افتقر إلى الاتساق.

سيتم تطبيق هذه الآليات على قصيدة (أرى شبحي قادما من بعيد) من ديوان محمود درويش (لماذا تركت الحصان وحيدا)*.

❖ الإحالات

يطلق مفهوم الإحالة على قسم من الألفاظ لا تملك دلالة مستقلة، بل تعود على عنصر أو عناصر أخرى مذكورة في الخطاب، فشرط وجودها هو النص، وهي تقوم على مبدأ التماثل بين ما سبق ذكره في مقام ما، وبين ما هو مذكور بعد ذلك[25].

وتقسم الإحالة إلى قسمين: مقامية ونصية، وإذا كانت نصية فإنها يمكن أن تحيل إلى السابق أو إلى اللاحق، أي أن كل العناصر تملك إمكانية الإحالة، والاستعمال وحده من يحدد نوع هذه الإحالة[26]. وبحسب هاليداي ورقية الحسن، فإن الإحالة المقامية تساهم في خلق النص؛ لكونها تربط بين اللغة وسياق المقام، إلا أنها لا تساهم في اتساق النص مباشرة، بينما تقوم الإحالة النصية بدور فعال في اتساق النص.[27]

أطلق عليها عبد الهادي الشهري مسمى الإشاريات*، وقال: الإشاريات مثل أسماء الإشارة والضمائر، من العلاقات اللغوية التي لا يتحدد مرجعها إلا في سياق الخطاب التداولي؛ لأنها خالية من أي معنى في ذاتها، فبالرغم من ارتباطها بمرجع إلا إنه مرجع غير ثابت[28]، وقد قسمها إلى ثلاثة أقسام، هي: الإشاريات الشخصية (الدالة على المتكلم أو المخاطب أو الغائب)، والإشاريات الزمانية (لحظة التلفظ هي المرجع)، والإشاريات المكانية (تحديد موقع المرجع)[29].

سبق وذكرنا أن العناصر التي تملك خاصية الإحالة تضم الضمائر، وأسماء الإشارة، وأدوات المقارنة، سنعرضها بإيجاز ثم سنعمد إلى رصد حضورها في النص الشعري.

* الضمائر

إذا نظرنا إلى الضمائر من زاوية الاتساق، أمكن التمييز فيها بين أدوار الكلام والأدوار الأخرى، حسب هاليداي ورقية الحسن، أما أدوار الكلام فهي التي تندرج تحتها جميع الضمائر الدالة على المتكلم، والمخاطب، وهي إحالة لخارج النص بشكل نمطي[30].

ضمائر المتكلم

إذا تأملنا النص جيداً نجد تمثل هذا النوع بضمير المتكلم المتصل (ي)، فقد ورد عشر مرات في هذه القصيدة، وهو يمثل إحالة مقامية تحيل إلى الشاعر، وهذه بعض النماذج الدالة على إحالة ضمير المتكلم المتصل:

أُطِلُّ، كَشُرْفة بَيْتٍ، على ما أُريدْ

أُطِلُّ على أَصدقائي وهم يحملون بريدَ

المساء: نبيذاً وخبزاً،

وبعض الرواياتِ والأسطوانات[31]

وفي قوله أيضاً:

أُطلُّ على صورتي وَهْيَ تهرب من نفسها
إلي السُلَّم الحجريّ، وتحمل منديل أُمّي[32]

وكذلك قوله:

أُطلُّ على لُغَتِي بَعْدَ يَوْمَيْن. يكفي غيابٌ[33]

كما تمثل هذا النوع أيضاً بضمير المتكلم المنفصل (أنا) و(تاء الفاعل)، وقد جاء الضمير (أنا) مستتراً من خلال الفعل (أُطِلُّ)، وقد ورد أربع وعشرون مرة، وهو يمثل إحالة مقامية تحيل إلى ذات الشاعر، أما الضمير (تاء الفاعل) ورد مرتين، وهو أيضاً يحيل إلى الشاعر، وهذه بعض النماذج:

أُطِلُّ على نَوْرَسٍ، وعلى شاحنات جُنُودْ
تُغَيِّرُ أَشجارَ هذا المكانْ.
أُطِلُّ على كَلْبِ جاري المُهَاجرِ
مِنْ كَنَدا، منذ عامٍ ونصف...[34]

الشاعر في هذا المقطع يستحضر النورس، فهو موجود بالذاكرة الفلسطينية التراثية، وهو مقترن بالارتحال والهجرة، وبالتالي متصل بتجربة الشاعر وأهله في التنقل والرحيل، كما استحضر صورة الشاحنات، وهي مرتبطة كذلك بالرحيل والتوزع، وصورة جاره المهاجر من كندا، لربما قصد بهم اليهود الذين جاؤوا من كندا إلى فلسطين بعد نكبة 48. هذا المقطع يشكل صراع بين ذات الشاعر والآخر، الذي يريد تدمير هذه الذات بمحو ملامح المكان الذي شكل تلك الذات، بوصفه المكان الرحم الذي يولد فيه الشاعر[35].

وقوله:

وتخفق في الريح: ماذا سيحدث لو عُدْتُ
طفلاً؟ وعدتُ إليكِ ... وعدتِ إليَّ[36]

ضمائر المخاطب

تمثلت هذه الضمائر بضمير المخاطب المتصل (ك) وضمير المخاطب المنفصل (ت)؛ فضمير المخاطب المتصل يحيل إلى ذات الشاعر، أما الضمير المنفصل فهو قد يحيل إلى عدت أمور ربما للوطن أو للأرض أو لأمه:

وتخفق في الريح: ماذا سيحدث لو عُدْتُ
طفلاً؟ وعدتُ إليكِ ... وعدتِ إليَّ[37]

كما نلاحظ فالضمائر المتكلم والمخاطب تحيل إلى ذات الشاعر، كأنها تعبر عن رحلة الأنا / الشاعر، التي بدأها منذ الرحيل الأول عن المكان الأول إلى زمان التوزع في البلاد، فملامح هذا المكان بدأت تنأى لكنها لم تختفِ من الذاكرة.[38] فقصيدة (أرى شبحي قادماً من بعيد) هي بمثابة برولوغ *Prologue، يروى بضمير المتكلم ويتكرر فيه مقطع شعري، فجاء بمثابة اللازمة (أُطِلُّ، كَشُرْفة بَيْتٍ، على ما أُريدْ)، وهي أيضاً بمثابة سيرة ذاتية للشاعر يروي فيها ما حدث له في الماضي وقت الرحيل عن مكان طفولته وأنه محتفظ بتلك الصور في مخيلته[39]، إن خروج محمود درويش في سنة النكبة 1948م من منزله كان بشكل مفاجئ، استيقظ في الليل على أصوات انفجارات تقترب من قريته، خرج راكضاً هو

وعائلته استغرق ركضهم مدة ستة وثلاثين ساعة، كانوا في أثناء ذلك يختبئون في المزارع وبين الأشجار، وفي الصباح استيقظ على وطنه الجديد لبنان.

ضمائر الغائب

وهي تعتبر إحالة نصية، لأنها جاءت داخل النص، وهي إحالة نصية قبلية أي أحالت إلى سابق، وتمثلت هذه الضمائر بالضمير المتصل (الهاء)، فقد ورد خمس مرات، والضميرين المنفصلين (هم، هي) وورد (هم) مرتين، و(هي) مرة واحدة، وقد كانت المسافة بين المحيل والمحيل إليه مسافة قصيرة ساهمت في اتساق النص وتماسكه. وهو موازي لما ذكره بوجراند عن الإضمار بعد الذكر، وهو "نوع من الإحالة المشتركة يأتي فيه الضمير بعد مرجعه في النص"[40]:

أُطلُّ على موكب الأنبياء القُدامى
وهم يَصْعَدُون حُفَاةً إلى أُورشليم
وأَسْأَلُ: هَلْ من نَبيٍّ جديدٍ
لهذا الزمان الجديدْ؟ [41]

فالضمير (هم) يحيل إلى الأنبياء، وألاحظ أن الضمير جاء بعد مرجعه، وأن المسافة بين المحيل والمحيل إليه قصيرة. ففي هذا المقطع امتزاج بين الحاضر والماضي، فهو يعود إلى زمن الأنبياء القدامى- الذين زاروا القدس، والأنبياء الذين عانوا من ظلم اليهود قديما- متسائلاً عن إمكانية ظهور نبي جديد لهذا الزمن الجديد. وكأنه يلمح لفكرة البعث أو الميلاد الجديد، فلو عدنا بالزمن للوراء لتذكرنا أن الله سبحانه وتعالى كان يبعث نبياً لكل أمة عندما تضطرب أمورها، ويعم الظلم بالناس[42]، فكأن الشاعر يرى الظلم الواقع على وطنه الأم وشعبه المقاوم، ويرغب بزوال هذا الظلم ولو بمجيء نبي جديد ليسود الأمن والأمان.

ومن أمثلتها أيضا، قوله:

أُطلُّ على الريح تبحَثُ عن وَطَن الريحِ
في نفسها ...
أُطِلُّ على امرأةٍ تَتَشَمَّسُ في نفسها ...[43]

فالضمير المتصل (الهاء) يحيل إلى كلمة الريح في نفسها الأولى، ويحيل إلى كلمة امرأة في نفسها الثانية، المرأة في شعر درويش في أغلب قصائده تشير إلى الأرض. ومن أمثلة الضمير المتصل:

أُطلُّ علي صورتي وَهْيَ تهرب من نفسها
إلي السُلَّم الحجريّ، وتحمل منديل أُمّي[44]

ففي هاذين الشطرين، جاء الضمير المنفصل (هي) وأُحيل إلى صورة الشاعر، وكذلك الضمير المتصل (الهاء) كذلك أُحِيل إلى صورة الشاعر، في هذين الشطرين انتقل الشاعر إلى زمن الطفولة والذكريات، حيث كانت حياته هادئة ومسالمة، فها هو يحن للبيت ولمنديل أمه، كذلك ربما أراد الشاعر أن يشير هنا إلى إشكالية مهمة في كتابة السيرة الذاتية؛ لأن استعادة الذكريات تعتبر عملية صعبة نوعا ما[45]، وكما هو مدون في رسائل محمود درويش إلى سميح القاسم؛ فإن موضوع كتابة السيرة لدى محمود لم يكن بمحض الصدفة أو مفاجئاً، فقد أوضح ذلك محمود في إحدى رسائله قائلا: " وسأبدأ في هذا الخريف بكتابة الكتاب الذي يلاحقني هاجسه منذ أربع سنوات، كتاب البيوت، التي عشت فيها في الوطن والمنفى، من

البيت الأول إلى الآن. وهو شيء من سيرة البيوت الذاتية، أكثر من خمسة وعشرين بيتاً، ولا بيت لي، لا عنوان لي...."[46].

إذاً تعتبر الإحالة في النص من صنع المتكلم / الشاعر يُوَظِفُها رغبةً في توصيد رسالته أو توصيلها للمخاطب / المتلقي، وأغلب الإحالات تعلقت بالمتكلم (أنا / الشاعر)، وقد ساهمت نوعا ما في اتساق النص.

* أسماء الإشارة

تعتبر أسماء الإشارة أيضا نوع من أنواع الإحالة، وعند البحث في ثنايا القصيدة وجدنا أنها لم تكن حاضرة بشكل ملحوظ فهي لم ترد سوى مرتين، وتمثلت باسم الإشارة (هذا)، الذي أُحيل في المرة الأولى إلى المكان، وفي المرة الثانية إلى (الزمان)[47]، وهي إحالة نصية بعدية، مما جعلنا نجزم بأنها لم تساهم جيدا في اتساق النص.

* المقارنة

وهي النوع الثالث من أنواع الإحالة، ويقصد بها أن النص يقارن بين عنصرين موجودين فيه فعلاً، وتنقسم هذه الإحالة إلى نوعين: مقارنة المطابقة، ومقارنة التشابه،، وتتكئ على ألفاظٍ مثل وصف الشيء بأنّه يشبه شيئاً آخرَ أو يماثله أو يوازيه، بعضها يقوم على المخالفة؛ كأنْ تقول يُضادّ أو يعاكس، أو أفضل أو أكبر أو أجمل[48].

عند تأمل القصيدة نستطيع أن نجد شيئا من المقارنة في المقطع التالي:

أُطلُّ على نَوْرَسٍ، وعلى شحنات جُنُودْ
تُغَيِّرُ أَشجارَ هذا المكانْ.
أُطلّ على كَلْبِ جاري المُهَاجِرِ
مِنْ كَنَدا، منذ عامٍ ونصف...[49]

فهناك مقارنة بالتشابه والتضاد الخفي بين النورس والشاحنات، فـ "النورس" يشير إلى البنية المكانية البحرية، أما "الشاحنات" فتشير إلى البنية المكانية البرية، وهما بيئتان متضادتين، بيد أن ثمة تشابهاً في مغزاهما الدلالي؛ لكونهما يوحيان بالرحيل وما فيه من حركة وتموج؛ فالنورس يوحي برحيل الفلسطيني إلى أرضه ووطنه، وشاحنات الجنود تومئ بعودة الصهاينة إلى أرض فلسطين؛ لتهدد أمن أهلها واغتيال أحلامهم.

ورد هذا النوع أيضاً في المقطع التالي:

أُطلُّ على اسم " أَبي الطَيِّب المُتَنبِّي "،
المسافر من طبريَّا إلي مصر
فوق حصان النشيدْ[50]

تطل ذات الشاعر على لقطة ذاكرتيه معرفية، تستحضر رمزا من رموز الشعر العربي المتنبي، محاولاً إقناع القارئ بأن التاريخ يعيد نفسه[51]، فالشاعر يُسقط حدث رحيل المتنبي إلى مصر على أحداث تجربته الذاتية، فثمة تشابه بين الحدثين، فالمتنبي خرج منفياً من حلب إلى مصر، ودرويش خرج منفياً من فلسطين المحتلة إلى مصر سنة 1971م، وكلاهما عانيا هموماً على مستوى الشعور العام بقضايا الأمة والوطن، وكذلك ارتبطا بقضية الشعر، وتحقيق الذات بهذه الوسيلة المشتركة بينهما، المتنبي في طموحه الشخصي والقومي، ومحمود درويش في طموحه الوطني القومي.

اذا لم يكن حضور المقارنة بشكل واضح في القصيدة ساهمت قليلا في اتساق النص.

❖ الاستبدلال

والاستبدال عملية تتمّ داخل النص، وتقوم على تعويض عنصر في النص بعنصرٍ آخر[52]، وعلاقة الاستبدال تمثّل شكلاً من العلاقات النصّية القبليّة لأنّ العنصر المتأخر يأتي بديلاً لعنصرٍ متقدّم، ما يجعلها قادرةً على تحقيق الاتّساق في النص حين تربط بين عنصرين متباعدين[53]، وفي هذه القصيدة نستطيع القول كادت تخلو من هذه الآلية لو اعتبرنا قول الشاعر: "أطل على شبحي قادما من بعيد" استبدالا لقوله: "أطل على جسدي خائفا من بعيد"، فاستبدل جسدي خائفا بقوله شبحي قادماً.

ومما يمكن اعتباره استبدالاً أيضا، ما جاء في نهاية القصيدة والعنوان، فقد استبدل الشاعر بين الفعلين (أرى) و (أطل)، ففي العنوان (أرى شبحي قادماً من بعيد)، أما في الختام فجاء بـــــ (أطل على شبحي قادماً من بعيد)، فكأن في العنوان استشراف للمستقبل وللحلم بالعودة، بينما في الختام اعتراف من الشاعر بأن ما يحلم به غير ممكن في الواقع، حيث أن اللازمة جاءت مبعثرة، وكأنها دليل على ضياع الحلم وتبعثره.

❖ الحذف

هي علاقة داخل النص، وفي معظم الأمثلة يوجد العنصر المفترض في النص السابق، وبالتالي يعتبر علاقة قبلية، وتكمن أهميته في الاتساق أنه ينبغي البحث عنه في العلاقة بين وليس داخل الجملة الواحدة.[54] وعرفه بوجراند بأنه "استبعاد العبارات السطحية التي يمكن لمحتواها المفهومي أن يقوم في الذهن أو أن يوسع أو أن يعدل بواسطة العبارات الناقصة"[55].

والحذف كعلاقة اتّساق لا يختلف عن الاستبدال إلا بكونه استبدالاً بالصفر؛ أي أنّ علاقة الاستبدال تترك أثراً، وأثرها هو وجود أحد عناصر الاستبدال، بينما علاقة الحذف لا تترك أثراً، ممّا يدفع المتلقي بالنهوض إلى مهمّة التقدير[56].

عند تأمل القصيدة يلاحظ فيها هذه الظاهرة ولكن بشكل ضئيل، فمثلاً:

أُطِلُّ على أَصدقائي وهم يحملون بريدَ

المساء: نبيذاً وخبزاً،

وبعض الرواياتِ والأسطواناتْ ...

ففي السطر الأخير ربما حذف الفعل (يحملون) بعد (بعض)؛ أي كأنه يريد القول: (ويحملون بعض الروايات)، يمكن اعتباره حذف فعلي، وهو حذف داخل المركب الفعلي. كذلك نستطيع عدَّ وجود النقاط بعد كلمة الأسطوانات من قبيل الحذف، فربما أراد قول: والأسطوانات القديمة أو الجديدة.

وتخفق في الريح: ماذا سيحدث لو عُدْتُ

طفلاً؟ وعدتُ إليكِ ... وعدتِ إليَّ

حذفت جملة الاستفهام (ماذا سيحدث لو) استغناءً عنها بحرف الربط الواو العاطفة، فأصل النص (ماذا سيحدث لو عدتُ إليكِ... ماذا سيحدث لو عدتِ إليّ)، ففيها حوار داخلي بين الشاعر ونفسه (المونولوج)، فالشاعر في حالة حلم يحاور نفسه متمنياً عودة تلك الأيام السعيدة من أيام الطفولة، مستحضراً عنصري المكان والزمان، والمتأمل جيدا للنص يشعر بإحساسٍ حزينٍ يطغى على المشهد، ويزيد من توتره وتصاعده؛ ذلك أن الشاعر يعرف تماماً أن الطفولة لا تعود.

❖ الوصل

يعدّ الوصل علاقة اتّساقٍ أساسية في النص، وذلك لأنّه يعمل على تقوية الأسباب بين متواليات الجمل المشكلة للنص وجعلها متماسكةً، وأدواته متعدّدة منها: أو، و، أعني، مثلاً، نحو، أم، لكن، لذا، لهذا، لأنّ[57]. فالوصلُ يحدّد الطريقة التي تترابط بها الجملة السابقة مع الجملة اللاحقة ترابطا منظّما داخل النص، وذلك من خلال الأدوات السابقة، بحيث تُدرك متواليات الجمل كوحدة متماسكةٍ[58].

وقد كان لأدوات الوصل حضورها في النص، وساهمت إلى حدٍّ ما في إحداث شيءٍ من الترابط داخله، ومن هذه الأدوات التي استخدمها الشاعر، حرف العطف (الواو)، فقد ورد (17)، وحروف الجر*:

حرف الجر	على	من	عن	في	إلى	لام الجر
التكرار	25	9	1	3	3	1

كان اتكاء درويش على حرف العطف الواو للربط بين جمل النص وتماسكه، على الرغم من حرف الجر (على) جاء بنسبة أعلى منها ولكن ذلك بحكم تكرار اللازمة بالمقطع الشعري، فلو حذفت اللازمة لكانت نسبة وجودها أقل من نسبة وجود حرف العطف الواو. وهذا ما سماه الأزهر الزناد بالربط الخطي فهو "يقوم على الجمع بين جملة سابقة وأخرى تلحقها فيفيد الترتيب في الذكر"[59].

❖ الاتساق المعجمي

ينقسم الاتساق المعجمي – كما يرى هاليداي ورقية الحسن – إلى نوعين: التكرير التضام. فالتكرير هو "شكلٌ من أشكال الاتّساق المعجمي يتطلب إعادة عنصر معجميّ، أو ورود مرادف له أو شبه مرادف"[60]، أما التضام، فهو "يعني توارد زوج من الكلمات بالفعل أو بالقوة نظراً إلى ارتباطهما بحكم علاقة من العلاقات، والعلاقة النسقية التي تحكم هذا التزاوج في خطاب ما، هي علاقة التعارض أو التَّضاد"[61].

لعل التكرير كان يمثل أداة واسعة الانتشار في النص، أما التضام فإنه يبدو معدوما في النص. فالتكرير تمثل بـ (اللازمة الأساسية للنص، تكرير الفعل (الجمل الفعلية التي تبدأ بفعل واحد)، أسلوب الاستفهام، وتكرار لبعض الكلمات:

اللازمة الأساسية للنص	5
تكرير الفعل	24 متمثلة بـ (أطل على)
أسلوب الاستفهام	4
الريح	3
جسدي	2
يحرس	2
الجديد	3

يعتبر تكرار الفعل (أطل) المرتبط باللازمة الشعرية، وهو فعل مضارع يوحي بتتابع المشاهد وترابطها في إطار علاقة متوازنة لا تحتاج إلى فضّ شفرتها بقدر ما تحتاج إلى قدر من الوعي الشعري للتواصل معها. كما أنه يشكل إطلالة من علٍ على الأحداث، فالشاعر مهيمن على المشهد، متمعن في تفاصيله وجزئياته، ويوحي التشبيه" كشرفة بيت" بالجمود والثبات، ويجيء افتتاح الشاعر خطابه الشعري من خلال صوته المتمثل بضمير المفرد المتكلم (أنا) في الفعل (أطل) إلى شدّ انتباه المتلقي إلى أقصى درجة ممكنة، ويحفزه على المتابعة، ويقنعه باحتمالات وقوع الحدث.

أما الجمل الاستفهامية وتكرارها، فربما يعود إلى أن زمن تدوين ديوان (لماذا تركت الحصان وحيداً) الذي صدر في عام 1995م، كما أنه غطى الفترة الواقعة بين أواسط 1992 إلى آخر 1994م، وفي هذه الفترة شهدت فلسطين بعض الأحداث المهمة، أهمها ما جرى في محادثات مدريد*، كذلك ما حدث في 1993/9/13م وهو تاريخ توقيع اتفاقية أوسلو*، وبعد هذه الاتفاقية قدم محمود درويش استقالته من اللجنة التنفيذية لمنظمة التحرير.

من خلال تلك الأسئلة والتساؤلات تنطلق (أنا) الشاعر في مسار الغياب، وحلم الأنا الأول، فهو يطلُ من تلك الشرفة على أيام الطفولة، وعلى الاحتلال، وعلى قريته التي ذهبت مع الريح، يطل ويتساءل: هل من نبي جديد، لهذا الزمان الجديد؟، يريد نبياً جديداً ليعم السلام ويرُفَعُ الظلم عن أهله.

كما تتساءل هذه الأنا ماذا سيحدث لو عدت طفلاً، وماذا سيحدث بعد الرماد، هذان التساؤلان كأنهما إشارة إلى أسطورة طائر الفنيق (العنقاء)، فهو أسطورة البعث والتكوين، فقد احترق وأصبح رماداً، ومن رماده خُلق طائرٌ صغير لينبأ بميلاد عهد جديد، فمن خلال هذه الأسئلة يستشرف الشاعر وينظر إلى المستقبل على أنه سيولد من جديد في رحم وطنه الأم ويعود إلى قريته من جديد.

هذه هي أدوات الاتساق التي برز دورها في النص الشعري، كانت متفاوتاً بدرجة ربط واتساق النص، ومن هنا يبرز دور المتلقي في الحكم على اتساق النص من عدمه، من خلال إعمال ذهنه في معرفة العناصر الإشارية، وكذلك الاعتماد على الذاكرة في استرجاع المعلومات المختزنة في النص، وكذلك معرفة عالم الشاعر والظروف التي نسج فيها نصه الشعري.

الخاتمة:

حاولت رصد نصية الملفوظ من خلال نظرية الاتساق، ، وطبقت هذه النظرية على قصيدة (أرى شبحي قادما من بعيد) من ديوان(لماذا تركت الحصان وحيدا) لمحمود درويش، الذي أصدره عام 1995م، وهو في المنفى، وتمثل القصيدة سيرة ذاتية للشاعر، ولاحظت أن الاتساق يعتبر شيئا معطى لا يصعب الوصول إليه.

المصادر والمراجع

1. بروان، ويول. تحليل الخطاب. ترجمة: محمد لطفي الزليطي ومنير التريكي. الرياض: جامعة الملك سعود، 1997م.
2. بوجراند، روبرت. النص والخطاب والإجراء. ط1. ترجمة: تمام حسّان. القاهرة: عالم الكتب، 1998م.
3. بوقرة، نعمان. المصطلحات الأساسية في لسانيات النص وتحليل الخطاب. ط1. عمان: جدارا للكتاب العالمي، 2009م.
4. حاتم، باسل، وأيان ماسون. الخطاب والمترجم. ط1. ترجمة: عمر عطاري. الرياض: جامعة الملك سعود، 1998م.
5. خطابي، محمد. لسانيات النص. ط1. بيروت: المركز الثقافي العربي، 1991م.
6. درويش، محمود، وسميح القاسم. الرسائل. بيروت: دار العودة، 1990م.
7. درويش، محمود. لماذا تركت الحصان وحيداً. رياض الريس للكتب والنشر، 1995م.
8. الزنّاد، الأزهر. نسيج النص. ط1. بيروت: المركز الثقافي العربي، 1993م.
9. الشهري، عبد الهادي بن ظافر. استراتيجيات الخطاب. ط1. بيروت: دار الكتاب الجديد المتحدة، 2004.
10. عفيفي، أحمد. نحو النص: اتجاه جديد في الدرس النحوي. ط1. القاهرة: مكتبة زهراء الشرق، 2001م.
11. علي، ناصر. بنية القصيدة في شعر محمود درويش. ط1. عمان: دار الفارس للنشر، 2001م.

12. أبو غزالة، إلهام، وعلي خليل حمد. مدخل إلى علم لغة النص. ط1. مطبعة دار الكاتب، 1992م.
13. مانغونو، دومينيك. المصطلحات المفاتيح لتحليل الخطاب. ط1. ترجمة: محمد يحياتن. الجزائر: الدار العربية للعلوم ناشرون، منشورات الاختلاف، 2008.
14. هياس، خليل شكري. القصيدة السيرذاتية: بنية النص وتشكيل الخطاب. ط1. اربد: عالم الكتب الحديث،2010م.

الدوريات

1. الرواشدة، سامح. قصيدة الوقت لأدونيس: ثنائية الاتساق والانسجام. مجلّة دراسات، العلوم الإنسانية والاجتماعية، الجامعة الأردنية، مج30، ع3،2003.
2. الشيخ، خليل. السيرة في إطار الشعر: قراءة في ديوان لماذا تركت الحصان وحيداً. أبحاث اليرموك، المجلد 16، العدد2، 1998م.
3. عبابنة، يحيى، وآمنة الزعبي. عناصر الاتساق والانسجام النصي، قراءة نصية تحليلية في قصيدة أغنية شهر أيار لأحمد عبد المعطي حجازي. مجلة جامعة دمشق، المجلد29، العدد 1+2، 2003م
4. قواوة، الطيب الغزالي. الانسجام النصي وأدواته. مجلة المَخْبَر، جامعة محمد خضير، بسكرة، الجزائر، العدد8، 2012.

المراجع الأجنبية

1. M.A.K.Halliday ,Ruqaiy Hassan.Cohesion in English. Routledge, 2014.

الهوامش

[1] خطابي، محمد. لسانيات النص. ط1. بيروت: المركز الثقافي العربي، 1991م. ص: 5-6.

[2] بوجراند، روبرت. النص والخطاب والإجراء. ط1. ترجمة: تمام حسّان. القاهرة: عالم الكتب، 1998م. ص: 103.

[3] أبو غزالة، إلهام، وعلي خليل حمد. مدخل إلى علم لغة النص. ط1. مطبعة دار الكاتب، 1992م. ص: 11.

[4] حاتم، باسل، وأيان ماسون. الخطاب والمترجم. ط1. ترجمة: عمر عطاري. الرياض: جامعة الملك سعود، 1998م. ص: 332.

[5] عفيفي، أحمد. نحو النص: اتجاه جديد في الدرس النحوي. ط1. القاهرة: مكتبة زهراء الشرق، 2001م. ص: 90.

[6] لسانيات النص. ص: 5.

[7] أنظر: لسانيات النص. ص: 13. وأنظر: بوزرى، فاتح. الاتساق مفهومه وآلياته. الممارسات اللغوية "مجلة أكاديمية محكمة". جامعة بجاية. العدد (2012/10). ص:41.

* Carter Thomas Shairly.

[8] بوقرة، نعمان. المصطلحات الأساسية في لسانيات النص وتحليل الخطاب. ط1. عمان: جدارا للكتاب العالمي، 2009م. ص: 81

[9] لسانيات النص. ص: 5.

[10] أنظر: مانغونو، دومينيك. المصطلحات المفاتيح لتحليل الخطاب. ط1. ترجمة: محمد يحياتن. الجزائر: الدار العربية للعلوم ناشرون، منشورات الاختلاف، 2008. ص: 19.

* النص والخطاب والإجراء. ص: 301.

[11] لسانيات النص. ص:16.

[12] بروان، ويول. تحليل الخطاب. ترجمة: محمد لطفي الزليطي ومنير التريكي. الرياض: جامعة الملك سعود، 1997م. ص: 36.

[13] انظر: لسانيات النص. ص: 17.

M.A.K.Halliday ,Ruqaiy Hassan.Cohesion in English. Routledge, 2014.page: 33.

[14] لسانيات النص. ص: 16

[15] M.A.K.Halliday ,Ruqaiy Hassan.Cohesion in English. Routledge, 2014.page: 33

[16] لسانيات النص. ص: 19.

[17] المرجع السابق.

[18] المرجع نفسه، ص: 21-22.

[19] لسانيات النص. ص: 23.

[20] نفسه. وسنتحدث بشكل مفصل عنها في المبحث الأول.

[21] الاتساق النصي، وألياته. ص:51.

[22] عبابنة، يحيى، وآمنة الزعبي. عناصر الاتساق والانسجام النصي، قراءة نصية تحليلية في قصيدة أغنية شهر أيار لأحمد عبد المعطي حجازي. مجلة جامعة دمشق، المجلد29، العدد 1+2، 2003م. ص:530

[23] لسانيات النص. ص: 24

[24] لسانيات النص. ص: 25.

* درويش، محمود. لماذا تركت الحصان وحيداً. رياض الريس للكتب والنشر، 1995م.

[25] الزنّاد، الأزهر. نسيج النص. ط1. بيروت: المركز الثقافي العربي، 1993م. ص: 118.

[26] لسانيات النص. ص: 17.

[27] المرجع السابق.

* كذلك الأزهر الزناد أطلق عليها هذا المسمى (العناصر الإشارية).

[28] الشهري، عبد الهادي بن ظافر. استراتيجيات الخطاب. ط1. بيروت: دار الكتاب الجديد المتحدة، 2004. ص: 80.

[29] المرجع السابق. ص: 81-82.

[30] لسانيات النص. ص: 18.

[31] لماذا تركت الحصان وحيداً. ص:11

[32] السابق. ص: 13.

[33] نفسه. ص: 14.

[34] نفسه. ص: 11.

[35] هياس، خليل شكري. القصيدة السيرذاتية: بنية النص وتشكيل الخطاب. ط1. اربد: عالم الكتب الحديث ،2010م. ص:224.

[36] لماذا تركت الحصان وحيدا. ص: 13

[37] نفسه.

[38] علي، ناصر. بنية القصيدة في شعر محمود درويش. ط1. عمان: دار الفارس للنشر، 2001م. ص: 131.

* تستخدم لغة البرولوغ في العديد من برامج معالجة اللغة الطبيعية، وبرامج الذكاء الاصطناعي، فهي لغة برمجة منطقية.

[39] الشيخ، خليل. السيرة في إطار الشعر: قراءة في ديوان لماذا تركت الحصان وحيداً. أبحاث اليرموك، المجلد 16، العدد2، 1998م. ص: 39-191.

[40] النص والخطاب. ص: 301.

[41] لماذا تركت الحصان وحيدا. ص: 13.

[42] انظر: بنية القصيدة في شعر محمود درويش. ص: 133.

[43] السابق. ص: 12.

[44] لماذا تركت الحصان وحيدا. ص: 13.

[45] انظر: السيرة في إطار الشعر: قراءة في ديوان لماذا تركت الحصان وحيداً.

[46] درويش، محمود، وسميح القاسم. الرسائل. بيروت: دار العودة، 1990م. ص: 102.

[47] لماذا تركت الحصان وحيدا. ص: 11، 13.

[48] الرواشدة، سامح. قصيدة الوقت لأدونيس: ثنائية الاتساق والانسجام. مجلّة دراسات، العلوم الإنسانية والاجتماعية، الجامعة الأردنية، مج30، ع3،2003. ص:519.

[49] لماذا تركت الحصان وحيدا. ص:11

[50] السابق. ص: 12

[51] القصيدة السيرذاتية. ص: 224.

[52] لسانيات النص. ص: 19

[53] قصيدة الوقت: ثنائية الاتساق والانسجام. ص: 520.

[54] لسانيات النص. ص: 21-22.

[55] النص والخطاب. ص: 301.

[56] لسانيات النص. ص: 21.

[57] قصيدة الوقت: ثنائية الاتساق والانسجام. ص: 520.

[58] لسانيات النص. ص: 23.

* عمدت الباحث لجعل حروف الجر من أدوات الوصل، لحضورها البارز.

[59] نسيج النص. ص: 37.

[60] لسانيات النص. ص: 24.

[61] السابق. ص:25.

* هو مؤتمر سلام عقد في مدريد في إسبانيا في نوفمبر–تشرين الثاني 1991، وشمل مفاوضات سلام ثنائية بين إسرائيل وكل من سوريا، لبنان، الأردن والفلسطينيين. وكانت محادثات ثنائية تجري بين أطراف النزاع العربية (لبنان، سوريا، الأردن، فلسطين) وإسرائيل وأخرى متعددة الأطراف تبحث المواضيع التي يتطلب حلها تعاون كل الأطراف. عقد المؤتمر بمبادرة من الرئيس الأميركي جورج بوش الأب في أعقاب حرب الخليج الثانية، وذلك برعاية كل من الولايات المتحدة والاتحاد السوفياتي. تم التأكيد أن المؤتمر سيعقد على أساس مبدأ "الأرض مقابل السلام" وقرارات مجلس الأمن 242 و338 و425.

* اتفاقية أو معاهدة أوسلو، أو أوسلو 1، والمعروف رسميا باسم إعلان المبادئ حول ترتيبات الحكم الذاتي الانتقالي هو اتفاق سلام وقعته إسرائيل ومنظمة التحرير الفلسطينية في مدينة واشنطن الأمريكية في 13 سبتمبر 1993، بحضور الرئيس الأمريكي السابق بيل كلينتون. وسمي الاتفاق نسبة إلى مدينة أوسلو النرويجية التي تمت فيها المحادثات السرّية التي تمت في عام 1991 أفرزت هذا الاتفاق في ما عرف بمؤتمر مدريد. وتعتبر اتفاقية أوسلو، التي تم توقيعها في 13 سبتمبر/ أيلول 1993، أول اتفاقية رسمية مباشرة بين إسرائيل ممثلة بوزير خارجيتها آنذاك شمعون بيريز، ومنظمة التحرير الفلسطينية، ممثلة بأمين سر اللجنة التنفيذية محمود عباس. وشكل إعلان المبادئ والرسائل المتبادلة نقطة فارقة في شكل العلاقة بين منظمة التحرير الفلسطينية وإسرائيل.